

تفسير ابن كثير

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا^ط وَيَكَآنُهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ^ط

وقوله تعالى : (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) أي : الذين لما رأوه في زينته قالوا (

يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) ، فلما خسف به أصبحوا يقولون : (

ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أي : ليس المال بدال على رضا

الله عن صاحبه [وعن عباده] ؛ فإن الله يعطي ويمنع ، ويضيق ويوسع ، ويخفض

ويرفع ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة . وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود

: " إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم أرزاقكم وإن الله يعطي المال من يحب ،

ومن لا يحب ، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب " . (لولا أن من الله علينا لخسف بنا) أي

: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا ، كما خسف به ، لأننا وددنا أن نكون مثله . (

ويكأنه لا يفلح الكافرون) يعنون : أنه كان كافرا ، ولا يفلح الكافر عند الله ، لا في

الدنيا ولا في الآخرة . وقد اختلف النحاة في معنى قوله تعالى [هاهنا] : (ويكأن) ، فقال

بعضهم : معناها : " ويلك اعلم أن " ، ولكن خفت فقيل : " ويك " ، ودل فتح " أن " على حذف " اعلم " . وهذا القول ضعفه ابن جرير ، والظاهر أنه قوي ، ولا يشكل على ذلك إلا كتابتها في المصاحف متصلة " ويكأن " . والكتابة أمر وضعي اصطلاحي ، والمرجع إلى اللفظ العربي ، والله أعلم . وقيل : معناها : ويكأن ، أي : ألم تر أن . قاله قتادة . وقيل : معناها " وي كأن " ، ففصلها وجعل حرف " وي " للتعجب أو للتنبية ، و " كأن " بمعنى " أظن وأحسب " . قال ابن جرير : وأقوى الأقوال في هذا قول قتادة : إنها بمعنى : ألم تر أن ، واستشهد بقول الشاعر : سالتني الطلاق أن رأتني قل مالي ، وقد جئتماني بنكر ويكأن من يكن له نشب يحب ومن يفتقر يعيش عيش ضر